PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(1): 1299-1311

ISSN:1553-6939

SOCIAL REPRESENTATION AND PRACTICES, FORMS OF SOCIAL LIFE TO ELEMENTS IN SOCIAL CONSTRUCTION.

Dr. zerarisalah eddine[1], Phd. Student zenati ikram[2]

[1]university Blida 2 (Algeria).

[2]university of Mohamed Khider Biskra (Algeria).

The E-mail Author: salaheddine.zerari@univ-biskra.dz[1], Ikram.zenati@univ-biskra.dz[2]

Received: 06/2023 **Published: 02/2024**

Summary:

The exploration of such a cognitive subject involves dealing with all the dimensions and forms surrounding the issue.representations and practices form a set of realms :conceptions, orientations, opinions…That individuals carry within societal levels and interact through their frameworks.this means that they govem and direct their actions with a kind of necessary compulsion .however, the development of this mechanisem came within multiple contexts : psychological,social,and cultural, as well as the context of environmental conditions.the process that mode it representations and practices that possess rationality, which gave it practical development embodied in the transformation of actions from being pre-directed to organized universes in a strategic format characterizedby interaction and the ability to respond to direct social space issues related to interaction.

Keywords: Social representastions, practices, individuals, group, society.

التمثلات الاجتماعية و ممارساتها؛ من أشكال الحياة الاجتماعية إلى عناصر في البناء الاجتماعي.

د. زراري صلاح الدين[1]، ط.د زناتي إكرام[2]

[1]جامعة بليدة 2 (الجزائر).

[2]جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

ملخص:

يعتبر التطرق لهكذا موضوع معرفي التعاطي مع كافة الأبعاد والأشكال المحيطة بالمسألة، حيث **تُشكل التمثلات و ممارساتها** مجموعة من الأكوان: تصورات، توجهات، آراء..... يحملها الفرد داخل مستويات المجتمع كما يتفاعل من خلال أُطُرها؛ بمعنى أنها تحكم و توجه أفعاله بنوع من الإلزام الحتمي؛ الا ان تطور هذا الميكانيزم جاء في سياق أنساق متعددة: نفسية، اجتماعية و ثقافية كذلك سياق الظروف البيئية الأمر الذي جعل منها تمثلات و ممارسات تتمتع بصفة

العقلانية ما أكسبها تطورا عملياتيا تجسد في تحول الأفعال من كونها موجهة مسبقا الى أكوان منظمة بصيغة إستراتيجيات تتسم بالتفاعل و لها القدرة على ان تجابه مواضيع الفضاء الاجتماعي المباشرة الخاصة بالفاعل.

الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية، الممارسات، الأفراد، الجماعة ، المجتمع.

مقدمة

يتجاوز النظر اليوم الى التمثلات الاجتماعية في الإطار الذي يدعو الى الثبات كما حدده **دوركايم** لها من كونها(بنايات جامدة) منها تنبعث كل الرؤى للأفراد و إليها يتحدد كل فعل جماعي كما تستقر وفقها جميع الروابط والعلاقات، تأتي فكرة تطور التمثلات الاجتماعية و ممارساتها بالنظر لعوامل اللاإستقرار للبيئة الاجتماعية فضلا عن التعقيدات وتنامي أو تنوع الشروط و السياقات الظرفية و كذا الأنساق المتداخلة التي تطبع أي ظاهرة الاجتماعية.

حيث يوضع الفاعلين الاجتماعيين من خلال عملية التواصل في حالة من التفاعل المستمر تشمل جميع أشكال تجمعهم دون استثناء سواء كانوا أفراد ، جماعات ، مجتمع بفئاته المتنوعة ، و بالتالي تكون كنتيجة مرتبطة بما يجرى في المحيط (مشكلة مطروحة على الصعيد الاجتماعي) و التي بدورها تقود الفاعلين الى تطوير سُبل بناء التمثلات و الممارسات الاجتماعية من التقليدي مثل : التصرفات الموروثة ، عادات ، استحضار صور ذهنية و تاريخية و روايات ، طقوس ..الخ الى مقاربتها بأشكال موضوعية و عقلانية تتوافق مع متطلبات الوقائع الملموسة ، ان هذا الإستبعاد النسبي لما هو ماضي و تاريخي للتصورات ، التوجهات ، التصرفات هو في الحقيقة نابع لما تمليه الضرورة الظرفية الى جانب نوعيات المواضيع المطروحة و المعقدة حيث و بالموازات مع إطار نشاط الأعضاء من خلال أنماط الفهم و الإدراك و المعرفة العلمية و أيضا الحس العملي يتم تطوير التمثلات الاجتماعية و ممارساتها بما يتوافق مع منظور الفاعلين تجاه المشكلة كظرف مادي أيضا الأخذ بمعطيات الواقع .

من خلال هذا الطرح نحاول في هذه الورقات البحثية التعرف على كيفية اشتغال التمثلات و الممارسات كآليات داخل البناء الاجتماعي معتمدين في ذلك على استنباط أهم ما قدمته الدراسات و البحوث العلمية الحديثة في هذا الموضوع العلمي.

1- في أصل التمثلات الاجتماعية؛ كشكل أولي للحياة الجمعية

من مجموع الرواسب الحياتية الخاصة بنمط العيش (العادات المألوفة، الأحكام و القوانين العرفية، أشكال الفكر الديني، الأساطير...الخ) ، انطلق **دوركايم** في تفسيره للتمثلات الإجتماعية على أنها تراكمات منتجة اجتماعيا ، فمن ما تمت ممارسته في حيواتنا كماضي و كتاريخ يمكن استعادته في مواقف المستقبل كتمثلات جمعية ، محددا بذلك الإطار الذي تنتهي إليه هذه الأخيرة.

معتمدا في تفسيره على آليات نمط عمل الوجود في صفة المشاركة الكلية لجميع الأجزاء التي تعمل ككل موحد مرتبطة بالكيان العام للمجتمع، مرد ذلك يكمن في المركبات الجمعية التي تجمع العديد من العناصر مثل: الشعائر و الطقوس الدينية ،التقاليد و الأحكام، العرف ، رؤى المكان و الزمان...إلخ كأنماط عقلية اجتماعية التي يربطها ببعضها البعض

منظور أو على أساس الوحدة الاجتماعية حيث تتشكل و فقها المواقف و تنتظم من خلالها السلوكيات، ليتم بذلك بناء الوعي العام "الوعي الجماعي" الذي يكتنف المجتمع الواسع.

" لأن المجتمع ليس مكونا من مجموعة أفراد يشكلونه فحسب و الأرض التي يشغلها هؤلاء الأفراد او الأشياء التي يستعملونها و الحركات التي يقومون بها، لكنه متشكل أولاً بالفكرة التي يحملها عن نفسه"[1]؛ انه كيان غير مادي يفرزه المجتمع و يكون متجها نحوه في نفس الوقت لتقويته و تعزيز وقائع الحياة الاجتماعية،" فالوعي الجمعي نتاج تركيب فذ و نسيج وحده من ضمائر وعي خصوصية، ينتج من هذا التركيب تخريج عالم كامل من الأحاسيس ، الأفكار ، الصور التي تكون خاضعة لقوانين خاصة بها"[2]إذن يقر **دوركايم** بإستقلالية التمثلات الجمعية كونها جزء من التركيب البنائي للوعي المشترك إنها نسق من النشاط الفكري النابع من سيرورة مجتمع محدد المكان و الزمان.

" هذا الوعي الذي أقيم كنظام يتجاوز الإنقسامات الاجتماعية يتشكل منه رباط المجتمع و يضمن إستدامته ...فهو روحاني بطبيعته و ملزم من طرف المجتمع يُفرض على طرق التفكير والتصرف"[3]،كما أنه من خلال بُنيته يصير هو الآخر منتج للتمثلات الجمعية.

فتحديد **دوركايم** عموما للتمثلات الجمعية (**les représentations collectives**) على أساس المكونات العملياتية الاجتماعية :عادات، تقاليد، ذكريات، قواعد دينية، مثل عليا..الخ ؛ كظواهر واقعية ملموسة خارجة و متعالية عن الذوات راجع إلى أولوية الكل على الجزء ؛ المجتمع الكلياني عن الفرد كوحدة، حيث يقول:

" المجتمع يقوم على دعامة مجموعة من الأفراد يرتبطون فيما بينهم طبقا لنظام ينشأ عن إتحادهم ، ويتغير طبقا لتصرفاتهم في رقعة المكان وطبقا لما يتعلق بذلك من وسائل المواصلات"...الخ، فهذا هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الإجتماعية اما التصورات فهي لحمة هذا النسيج وهي تنجم عن العلاقات التي تربط الأفراد ببعضهم البعض، كما تنجم عن العلاقات التي تربط الجماعات الفرعية فيما بينها"[4]، يُفهم من هذا ان التمثلات الجمعية هي نتاج للتفاعل القائم بين أعضاء الجماعة نفسها مع مختلف الجماعة الأخرى المتنوعة حيث يُبنَى هذا التفاعل عبر تلك العمليات والنظم الاجتماعية لتتشكل بذلك **بنية معرفية** يرجع لها باقي الأعضاء لبناء الحقيقة و فهم وسطهم او بيئاتهم الاجتماعية كما توفر لهم مجموعة من الحلول في شكل ممارسات و نشاطات مشروعة –طبعا ضمن إطار منطق الجماعة – لكل المشاغل الحياتية التي تتعرض لها ممارساتهم/أفعالهم اليومية و هو ما يبرر حتميتها كما يعطيها صبغة ملزمة على الجميع، وحجة **دوركايم** في هذه الصفة بقوله :

" تبدو على نحو واضح في ظواهر اجتماعية مثل المعتقدات ، الأعمال الدينية، قواعد الأخلاق، و عدد لا يحصى من القواعد القانونية، هذه الأمور التي تعد من أكثر ظواهر الحياة بروزا و أنها جميعا أمور ملزمة، هذا الإلزام هو الدليل على

---

[1] فالنتينا غراسي، مدخل الى علم اجتماع المخيال –نحو فهم الحياة اليومية–ترجمة:محمد عبد النور وسعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2018،ص.49.

[2] نفس المرجع، ص.49.

[3] نفس المرجع ، ص.49.

[4] إميل دوركايم، علم الاجتماع وفلسفة، ترجمة: حسن أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 1966، ص.49.

ان هذه الأنماط سواء منها ما يتعلق بالعمل أم ما يتعلق بالتفكير ليست من عمل الفرد و إنما في جملتها أمور صادرة عن قوة معنوية تفوقه"[5]؛ و بالتالي تصبح عملية ملموسة متجسدة داخل المؤسسات الكيانات الاجتماعية –مثل ما نراه من أحكام ، طقوس جماعية سواء في الإحتفالات الدينية أو الاجتماعية، تقاليد الأجداد ، الأخلاق المنشودة في العمل و التعاملات التجارية...الخ التي تحدث في ممارسات الحياة الاجتماعية ، إذن إلزاميتها تكمن في مشروعية واقعية تحمل العديد من الخصائص النوعية –المعرفة المشتركة– و التي تشكل في تفاعلها نوعا من التكامل أو التناسب الذي يحاول الحفاض على الحس المشترك ضمن تماسك أكثر و تعاون أمتن للضمير الجمعي.

ثم يحيلنا **دوركايم** بقوله : " ان التصورات الجمعية تنشأ عن الأفعال و الردود الأفعال المتبادلة بين المشاعر الأولية التي يتكون منها المجتمع، ثم يتسأل بقوله : " ان هذه التصورات لا تنتج مباشرة عن هذه الأمور (المشاعر) ؛ و يُجيب في نفس الوقت ولكنها تفيض عليها وتغمرها "[6]، بهذا التحليل نكون على أعتاب نوع ثاني من التمثلات و التي سمها بالتمثلات الفردية (**les représentations individuelles**) حيث يضعها على مستوى مختلف من سابقتها، و يرجع ذلك بحكم طابعها الفردي– الذاتي–،وهوممالاشك فيه أن كل فرد يساهم في بلورة تمثلات عن طريق مجموعة من الميكانيزمات النفسية (المشاعر، الإحساس، والآراء ، الإدراكات ،المعتقدات الخاصة به...) ، فمن حيث المبدأ لدى علم النفس أن التصور لا يمكن قيامه و تحديده من غير الإحساس و عن طريق الشعور، ثم يضيف **دوركايم** بقوله:

" أننا لم ندرك فعلا كل ما تنطوي عليه هذه التصورات فما تشتمل عليه مثلا من عناصر واقعية وفعالة وهي عناصر ليست فيزيقية بحتة لذلك لا يمكن إدراكها عن طريق الحس الداخلي" [7]، في إشارة منه للعوامل الصادرة من الذات فالوقائع النفسية ليست هي الحياة الاجتماعية على نحو مطلق بمعنى انها مبتورة مع بقية الوجود الخارجي و لا تتشارك أو تتصل معه،فلو ترك وعي كل فرد لذاته لا انغلق على نفسه ، إذ لا يستطيع أن يتواصل إلا عبر علامات تعبر عن حالته الداخلية ؛ " و من أجل أن تفضي العلاقات التي تقوم بين وعي و آخر إلى إتحاد أي إلى إنصهار لجميع المشاعر الخاصة في شعور مشترك لا بد أن تنصهر العلامات التي تعبر عن وعي في محصلة واحدة"[8]،على عكس الوقائع الاجتماعية فهي كظواهر محسوسة تنشأ من الخارج بصفة مستقلة عن الذوات ثم تسير مباشرة إلى الخصائص الداخلية.

"فالتمثلات الجمعية تنتج من الأفعال و التفاعلات التي لا تكون ممكنة بذاتها إلا بفضل وسائط مادية، كما لا تستطيع عقول الأفراد أن تلتقي و تتواصل إلا شرط الخروج من نفسها"[9].

المقصود من الفرق بينهما هو على اعتبار التمثلات الجمعية أمور خارجية بالنسبة للمشاعر الفردية، تنبعث عما يقوم فيما بين الأفراد من اتحاد و ترابط، فكل شخص يسهم في إعداد الحصيلة المشتركة ثم أن المشاعر الخاصة لا تتحول إلى

---

[5] نفس المرجع، ص.50.

[6] نفس المرجع، ص. 49.

[7] نفس المرجع، ص.46.

[8] إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة: رندة بعث، المركزي العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019،ص.308.

[9] نفس المرجع، ص. 308.

مشاعر اجتماعية إلا بفعل القوى التي تتولد عن هذا الإشتراك و الترابط و هي قوى من نوع خاص[10]، أي أنها تنتظم بفعل قوى فريدة من نوعها –يقصد بذلك النسق العام للمجتمع التي تذوب وتتصهر و تتكاثر بداخله– كما يعمل تجمُع الأفراد على تطويرها تبعا لتلك التفاعلات المتبادلة و بالتالي تكتسب الصفة الاجتماعية.

فالتمثلات تتبادل التأثير فيما بينها و تتغير الآثار الناشئة عن هذا التبادل بالضرورة طبقا لطبيعة هذه التصورات من جهة كما تتغير كذلك وفقا لما يكون بين هذه التصورات من جهة أخرى من تناسب أو إختلاف أو تباين [11].

ثم يؤكد هذا الأخير مرة أخرى على أحقية التمثلات الجمعية من نظيرتها الفردية في تركيباتها كأنماط يجب الأخذ بها لفهم الوقائع الاجتماعية و ظهوراتها بقوله:

"... ومهما تكن مساهمتنا في نشوئها فكل منا يتلقاها من الخارج بالتالي عندما نتصورها بوصفها إنبثقت من موضوع مادي فنحن لا نخطئ تماما في فهم طبيعتها"[12].

يضيف **دوركايم** في عمله "**تقسيم العمل في المجتمع**" 1893 فكرة مركزية، مفادها أن المجتمعات تنتقل تدريجيا تحت تأثير تقدم تقسيم العمل من التضامن الآلي (الرابطة الاجتماعية مؤسسة على تماثل الأفراد، يمتص الوعي الجماعي وعي كل الفرد) الى التضامن العضوي (يصبح الرابط تعاقديا فيتحرر وعي الأفراد و تنتشر الفردانية) [13]، يشير **دوركايم**– للحالة المرضية التي تصيب المجتمع–إلى بدايات تحول التركيبة الاجتماعية بفعل شروط و إملاءات تقسيم العمل و عن تشكيل صيغ مختلفة للعوامل الثقافية بدلا من الأولى –نظم اجتماعية تتمتع بخاصية الإجبار / الإلزام على كل أفراد المجتمع الى مجتمع متطور مع أفراده أكثر تخصصا و إختلافا في طرائق العيش و التفكير فتضعف فكرة التمثلات الجمعية التي يحملها جُل الأعضاء تجاه موضوع معين أيضا تقل فكرة الثقافة المشتركة و الوعي الجمعي مما كانت عليه من قبل مقابل تزايد ارتفاع النزعة الذاتية حيث تتعزز الحركة نحو استقلالية الفرديات و يبدو السير نحو النزعة الفردانية– التمثلات الفردية النابعة من العقلنة– أكثر مقصودية كونها مطبوعة بنزعة اقتصادية تنتهي الى المنفعة التي تُعجل من ظهور التفاوتات الاجتماعية.

ما يمكن ان يؤخذ على **دوركايم**هو عرضه لموضوع–التمثلات الجمعية– في أنها مجموعة من العوامل المركبة و الخارجية عن ذوات الأعضاء مع الأخذ بها كمعطيات ثابتة / قبلية و ينبغي على بُنية الفكر الجماعي ان يبني عليها قواعده وحججه المعرفية و العملية، هذه النظرة الحتمية التي أقصت الطبيعة المتداخلة و المعقدة للظاهرة الاجتماعية جعلت من **دوركايم** لا يكترث للتشابك الحاصل بين الفردي و الجماعي و هو ما يميز الممارسة الحقيقية للفعل السوسيولوجي في خضم المجتمع المعاصر،ان اعتبار التمثلات الجمعية كأشياء تم بَنْيَنَتُهَا من عمل النظام الجماعي سواءًا كان نشاط

[10]نفس المرجع،ص .50.

[11]نفس المرجع، ص.37.

[12] اميل دوركايم، علم الاجتماع والفلسفة، مرجع سابق، ص.309.

[13]جان بيار دوران وروبرت ويل،علم الاجتماع المعاصر، ترجمة، ميلود طواهري، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر،2019، ص.103.

طقوسي او فكر اجتماعي أو أسطوري... فإن إجزامه بشكل قاطع أنه و لو تحمل في طياتها القليل من دور الذوات– تمثلات فردية– الا أنه يتم انصهارها في العناصر الاجتماعية و تفوق هذه الأخيرة عليها.

الأمر الذي يعني اختزال الواقع الاجتماعي في بناء النشاط الفكري و المعرفي للفاعلين و كذا توجيه سلوكاتهم وفق أنماط محددة مسبقا للسلوك الاجتماعي[14]، نتيجة لهذا أقيم من التمثلات الجماعية كجانب من البنيات العامة قاعدة أساسية للأحكام البشرية تقضي بمعالجة معيارية لمختلف الممارسات الاجتماعية و خطاباتها وما يكمن منورائها من رموز ودلالات، فمشروعيتها حقيقية ذات يقين اجتماعي و واقعية أكثر من كونها أهيَ صحيحة أم خاطئة.

2–عناصر و آليات تشكل التمثلات و ممارساتها الاجتماعية

لتوضيح وتحديد مجموعة التكوينات المساعدة لعملية بناء و تشكيل التمثلات الاجتماعية و الممارسات المصاحبة لها حيث تعمل على تبيان الآليات التي تتخذها جماعة من الأعضاء أو طبقة معينة من الأفراد في علاقتها بموضوع لا يخرج عن حيز بيئتها الاجتماعية المباشرة.

الأمر الذي جعل من التمثلات الاجتماعية تتقاطع مع مجموعة من العناصر منها: (الأراء المعلومات، المعتقدات، التخمينات..الخ) حيث تشكل هذه الأنماط في مجموعها تركيبة ملموسة تنتظم في عملها بغية تحقيق مركب اجتماعي.

فما يميز هذا البناء المركب في بداية عمله هو التنظيم المعبر عنه بطريقة دينامية، يتجاوز ذلك التصور بتجمع عناصر مع بعضها لإدراك معرفة و تشاركها، انه يعبر عن بنية تعمل على المحافظة في تفاعلها مع بعضها البعض.

و في علاقتها المتوازنة، بمعنى ان أفراد المجموعات يعملون على إقامة علاقات متوازنة بين هذه العناصر و مستوياتها المختلفة، مثال: إقامة هذا الرأي معادلا مع الآخر و اعتبار هذا الاعتقاد غير متوافق مع هذه المعلومات و ما الى ذلك.[15]

و **كثاني** آلية أن يتم الحرص على توزيع التمثل الاجتماعي على مختلف أعضاء الجماعة بالموازاة مع ما يتلقاه الفرد من نسبة إجماع تم تحقيقها حول التمثل معين –و ما يحمله من عناصر– مما يسمح بتشكل مستوى من تجانس مواقف أفراد المجموعة الواحدة تجاه موضوع تمثل محدد، بمعنى أنه يمكن أن يعطي الفرد موافقته الذاتية من زاوية جزئية تجاه أمر ما وفي نفس الوقت و بشكل عام مجسدا لعناصر معينة.

ثم يتم الانتقال الى مرحلة ثالثة في بناء التمثلات الاجتماعية، حيث تُنتج بداية بشكل جماعي من خلال شبكات الاتصالات الخاصة بالجماعة و تعمل تلك التبادلات بين الذوات الفاعلة مقابل التعارضات في خضم نسيج الاتصالات و قنواته المتعددة بالسماح لجميع العناصر التي تشكل في تفاعلها تمثلا اجتماعيا، بذلك يعزز هذا التجمع صفة الإجماع و ظهورها في نفس الوقت يعطي الشرعية الاجتماعية لمختلف المكونات(أراء، معلومات، معتقدات..الخ) فلا شيء يبدو أكثر صلاحية وشرعية مما يشاركه أكبر عدد من الأفراد[16].

[14]نفس المرجع،ص.66.

[15]Pascal Moliner Et Patrick Rateau Et Valérie Cohen-Scali, Les Représentations Sociales Pratique Des Etudes De Terrain, Presses Universitaires De Rennes ,France,2002, pp.12-13.

[16]*Ibid. p.13.*

تهدف عملية بناء أنماط/ و أشكال التمثلات الاجتماعية بنهايات محددة – فهي آليات استعمال اجتماعية– من خلال ما تقدمه من فهم للموضوع المباشر في الفضاء الاجتماعي، كما تمتلك صفة نوعية تكمن في قدرتها على التدخل في قلب التفاعل الاجتماعي مع إمكانية تعديله أو تحقيق و إرساء التفاهمات خاصة في تلك المتعلقة بالمواضيع المعقدة أو الأهداف ذات طابع المنفعة، كما أنها تتوفر على معايير لتقييم البيئة الاجتماعية المباشرة أيضا تجعل في أحيان كثيرة إمكانية التبرير و السماح لسلوكيات معينة حيث تضفي عليها طابع الشرعية.

3- المستويات العملياتية للتمثل الاجتماعي

نقصد في هذا الباب محاولة الكشف عن كيفية اشتغال آليات التمثل بعناصره الختلفة* عبر مستويات متباينة لكل منها طريقة ليست بخاصة ولكن يمكننا القول ذات أشكال متنوعة، فعند إدراج التمثلات الاجتماعية ضمن سياق المجتمع في كُلِيَته أو بما يعرف بالمجتمع الواسع حيث تسمح لنا من فهم الإختلافات و التشابهات بين الفئات الاجتماعية، اما على مستوى الجماعة الواحدة يحيلنا التمثل الاجتماعي لفهم عملية بناء و هيكلة التمثلات الاجتماعية في عمق المجموعة، ثم على المستوى الفردانيات الذي يقربنا بشكل ملموس من الاهتمام بطريقة استخدام التمثل من خلال التعرف على ثنائية الخطابات و المواقف.

3-1/ إشتغال التمثلات و ممارساتها على مستوى المجتمع الكلياني

في هكذا فئة من دراسة تمثلات " المجتمع في كليته" و الذي " يشير الى مجموعة من الأفراد تم تجميعهم في مجموعات فرعية تمتاز بالتنوع ، التداخل ،الاختلاف، سواء مجموعات جنسانية ،اقتصادية، مهنية...الخ ؛ يكون الاهتمام في هذا المستوى بالأفراد المختلفين تماما من بعضهم البعض و لكنهم يشتركون في مجموعة واحدة على الأقل من القواعد المشتركة ، القوانين، العائلة، المنظمات.." [17]على هذا النحو من محاولة البحث عن التمثلات في عمق البناء الاجتماعي الواسع نخلص أمام تفاعل متعدد الأبعاد يتم هيكلته، فالتفاعل القائم بين المجموعات المتعددة و المتنوعة الى حد ما يكون حول موضوع اجتماعي محدد في ظروف البيئة المباشرة لتلك الجماعات و ستتمثل هذه الأخيرة موضوعها ثم تحاول ان ترسم

* تعتبر (الآراء والمعلومات والمعتقدات...) كعناصر للتمثل كما تم شرحها سابقا وتمكننا كذلك من اعتبارها كمرتكزات تكشف عن الكيفية التي سواء يتم بها توزيع التمثل الاجتماعي أو ملاحظته أو بنائه، حيث أن الممارسة العملية لهذه العناصر تستخدم حسب المستوى العملي للتمثل فهي ذات ديناميكية عملية تتوافق مع الحاجة.

[17] *Ibid.,p.*21.

* تجدر الإشارة ان مصطلح التثبيت او التجذير الاجتماعي قد تم التطرق اليه من قبل ثلة من العلماء المهتمين بموضوع التمثلات الاجتماعية نذكر منها (موسكوفيشي، دنيس جودلي...) الذي أعطى تفصيل مهما لعملية التثبيت وقسمتها على عمليتين هما التوضيع objectivation والتثبيت او التجذيرancrage و هو الأقرب للصحة كخاصية متجذرة في الفرد الاجتماعي، لكن تطرقنا لتحليل دواز لهذه العملية في كونه يشير الى التفاعل الذي يضفي الى بناء حقل للتمثل الاجتماعي.

صورة له تبعا لمنطق معين من ممارسات او تجارب معينة تعرفها عمليا من ثمة تم شرعنتها وفقا لرؤيتها و أيضا لمصالحها.

يتجلى هذا ضمن الظاهرة التي أطلق عليها(**w.Doise وليام.دواز)1992**مصطلح **التجذير الاجتماعي للتمثل*[18]**"**L'ancrage sociologique**"،يتحدد ماديا التجذير الاجتماعي للتمثلات في إطار تعدد التجارب الإنسانية و يظهر في شكل تنوع الآراء ، المعتقدات و الروئ ، كذلك التجارب الشخصية لكل فاعل اجتماعي حول موضوع معين؛ يضفي هذا نوع من التشارك نحو الاندماج و من ثم الى التعايش بين العديد من التمثلات المتنوعة تجاه نفس الموضوع أي ان لكل فئة أو جماعة فرعية من المجموعات تمثلا خاصا بها تتفاعل به مع الآخرين، بمعنى انه انطلاقا من موضع كل جماعة مفيئة بالنسبة للمجتمع الكلي تتمتع بممارسات ، تجارب ، تصورات ؛ بالتالي فإنها تسعى دائما ان تعالج / او تفرض ممارساتها المألوفة كحلول مع كل ما يقابلها او يعترض أفرادها من مواضيع في البيئة المباشرة من خلال ملائمتها مع ما تحمله كماضي و كتاريخ تمت معايشته.

يتم تداول هذه التمثلات بين المجموعات على نحو من التمازج و التفاعل سواءًا كان يشوبها الاختلاف او ما يميزها من تشابه مع مراعات للمعايير و الخصوصيات المختلفة ، مما يتشكل عنه تقارب اجتماعي و الذي يُبنى أيضا كنتيجة لتقارب الأهداف او إختلافها؛ بالتالي سيعمل **التجذير الاجتماعي** في الحفاظ على تعارضات الآراء... المشتركة بين كل الجماعات / الزُمَرْ او تلك الخاصة ببعض الفئات الأمر الذي يخلق تعايش بينها مهما كانت خلفياتها الاجتماعية الغير متطابقة نسبيا مع بعضها البعض و في المحافظة على العلاقات بجميع أنماطها .

" يؤدي الاهتمام بظاهرة التجذير الى تصور التمثلات الاجتماعية كنتيجة لمجموعة من المحددات الاجتماعية ومشاركتها في تنظيم العلاقات بين المجموعات المتفاعلة على وجه الخصوص، حيث ستسمح التمثلات للأفراد و الجماعات بإتخاذ مواقف تجاه بعضهم البعض" [19]، تعكس عملية التثبيت تَدخُل ماهو اجتماعي بالدرجة الأولى بالنظر لدورها في المحافظة على رابط العلاقات فهي المجموعات الاجتماعية التي تهيكل المجتمع في كليته –أو إعادة هيكلتها– بين مجموعات الأعضاء المتفاعلة سواء كان السياق الذي تنشط فيه متسم بالتعاون ، المنافسة ، الصراع ، الهيمنة و البحث عن السلطة فيما بينها حيث يسمح بتشكل تنظيم محكم للتمثلات الاجتماعية و بالتالي تطويرها إنطلاقا من رؤية و موضع كل مجموعة في المجتمع العام للموضوع (الكفاءة، خبرة، مصالح، استراتيجيات...الخ) .

هذا ماجعل(**دواز**،"**Doise**") يشير الى فكرة مهمة تنطوي عليها التمثلات؛ يعتبر ان لأي تمثل **آراء تأسيسة** بالرغم من تنوعها وتسمى با (**المبادئ المنظمةorganisateur** "**principe**) التي فسرها على أنها بمثابة **نقاط مرجعية مشتركة** تتخذ منها المجموعات مواقفها[20]، حيث أكدت الدراسات العلمية على ان بناء عملية **المبدأ التنظيمي** تتم من خلال تحديد التمثلات الاجتماعية الأكثر إجماعًا أي الأكثر أهمية ثم الأقل منها نسبةً المعبر عنها بالتطابق في الأراء أو الأخرى

[18]Pascal moliner et christian Guimelli, les représentations sociales, presses universitaires de Grenoble, France, 2015,p.20.

[19]*Ibid.,p.20.*

[20]*Ibid.,p.20.*

المعارضة، كما يقوم ميكانيزم المبدأ التنظيمي على أشكلة و تنظيم المعارضة الحاصلة بين مثل: مع/ضد، مهم/غير مهم....الخ مع لأخذ بعين الاعتبار المعايير السوسيو– ثقافية الخاصة بأفراد الجماعات، تكمن أهمية هذا المبدأ كآلية في المساعدة على إنتاج التمثلات بعدها إرسائها من خلال توافق تام حول المواقف سواء كانت متعارضة او متوافقة مع بعضها البعض أي انه ينظم التمثلات بالموازاة مع الموضوع و يشكل اتجاه ممارساتها.

3-2 / على مستوى-الجماعة أو الزمرة-

في البداية نعتبر في هذا السياق المجموعة الاجتماعية(**groupe social**) :"على أنها مجموعة من الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض و يوضعون في موقف مشترك تجاه موضوع اجتماعي و يفترض سعيهم الى هدف مشترك انهم مترابطون نسبيا في السعي لتحقيق الهدف "[21].

إننا نتكلم عن جماعة متجانسة الأفراد تجاه موقف مشترك ؛ الى حد كبير أي أقل تعارضا وأقل تنوعا و إختلافا عكس ما يوجد في المجتمع الواسع ، حيث يكون الشعور بالإنتماء مع الاعتماد المتبادل بين الأفراد في مستوى مرتفع ؛ أي أنهم على مستوى واحد من الإهتمام بتحقيق المصالح و هو ما يعكسه التفاعل المنتظم و الممارسات المتشاركة في الواقع العمليلكن لا يخفي هذا التجانس المتمظهر في أقصى حدوده لمختلف التباينات و الفروقات التي قلما نجدها ضمن هذا المستوى من دراسة التمثلات الاجتماعية، إلا أن تَدخُل الاجتماعي (التجارب المعاشة المختلفة) جعل لكل فرد من المجموعة له سيرورة حياتية حيث بطبيعته ينتمي الى عدة تنظيمات أو مؤسسات اجتماعية –انه عضو فيها في نفس الوقت : العائلة، المهنة، الطبقة، الهواية، الجنسانية، الديانة، الجيل العمري...الخ، شكلت له في مجموعها انتماءات اجتماعية متنوعة و ان كانت تبرز عضويته في كل مجموعة بنسب متفاوتة تجعله الأقرب من واحدة على الأقل على حساب الباقي، ما يتم اعتباره كمصدر يوضح خصوصية التنوع بين الذوات داخل المجموعة الواحدة أيضا.

تعتبر المواضيع ذات السياق الاجتماعي مركبة في طبيعتها أي انها متعددة الأنساق ضف الى ذلك معقدة ومتشابكة البناء، الأمر الذي جعل من الأعضاء لا يتمتعون بنفس التجارب نحو نفس المواضيع و ان كانت لديهم نفس المعلومات او تشابه في المواقف حول موضوع معين، اذن ستكون ذواتهم حاملة لفروقات متباينة من منطلق خبراتهم الحياتية.

و بالتالي لمحاولة الاقتراب من فهم المجموعة التي يجتمع أفرادها في رؤية مشتركة و موحدة لموضوع محدد، في حين ان لكل فرد تجاربه و لحظاته الحياتية الخاصة(أحاسيس ،إماءآت، تصورات..).

حيث تُبين العملية التي تتوزع بها كل من الأنماط الخاصة بالآراء ، المعلومات ، المعلومات ، المعتقدات...الخ المُشَكِلَة للتمثل الاجتماعي الخاص بالجماعة تجاه موضوع معين ، و التي بدورها تفرز عن عدد قليل من"الآراء ، المعلومات ، المعتقدات " المتوافق عليها بشكل كبير جدا، ثم الى عدد كبير من الآراء والمعتقدات التي يكون فيها الإجماع والتوافق أقل من الأولى[22] بمعنى –تتميز بمستوى عال من التباين–، فتتلخص الرؤية المشتركة للجماعة في جملة الآراء المتفق عليها و جعل الإجماع ممكننا بنسب قوية، مما ينشئ عنه المنطق المشترك الذي يسمح بنسج الروابط التي تبنى وفقها العلاقات بين الذوات كما ان تنوع الخبرات والتجارب للأفراد سمح لها بتعدد الآراء و تشكل نوع من عدم التوافق في الكثير من التمثلات

[21] *Ibid.,p.21.*
[22] *Ibid. p.22.*

الا أنه ساعد ببناء توافقات و ان كانت صغيرة –ان نجد عضوا في الجماعة يتشارك مع عضو آخر في رأي او معتقد ما و هكذا–، فا محاولة فهم ممارسة تنوع الخطابات على مستوى الفرديات في التمثلات الإجتماعة –من منطلق لكل فرد خبراته و خياراته الذاتية–وسط تفاعل أعضاء المجموعة الواحدة تحمل العديد من الأوصاف نحاول حصرها في ثلاث افتراضات :

- **أولا** – ان الإجماع الذي سيتم تحقيقه في المجموعة لا يُنتج ببساطة عن التقارب الفردي أو العشوائي و لكن تم تحديده من خلال عوامل مشتركة بين جميع الأفراد[23]، يبرز تنظيم التمثلات الاجتماعية الحقيقة المشتركة المتمثلة في التبادلات المبنية للأفراد– الاجتماعين مع معطيات و ظروف المحيط المتعددة، ارث ثقافي، رموز، اتصالات، مصالح، قيم، هويات وانتماءات... كلها معارف توضع في خانة المعرفة العامية "الساذجة" التي تدخل ضمن السياق الاجتماعي الشامل المؤثر في الكل و التي يجابه بها أفراد المجموعة الواحدة الأحداث الظرفية المباشرة و المتكررة.
- **ثانيا**– ان الأراء الأكثر توافقا تتمتع بصفاة معينة كما تجعل من الممكن تحديد موضوع التمثلات على وجه الخصوص[24]؛ تعمل الآراء التأسيسية للتمثل على إكسابه **معنى مركزي** يتقاسمه كل الأعضاء بإهتمام بالغ سواء في الخطابات او الممارسات و كإلتزام في الأفعال.
- **ثالثا**– ان الآراء الأكثر توافقا لا يمكن ان تتعارض مع الآراء والمعتقدات الأخرى المتعلقة بالتمثل[25]، ذلك لأنه غالبا ما تكون مرتبط بهدف يراد تحقيقه أو مصلحة منشودة أو ضرورة لا ينبغي التنازل عنها او المساس بها او قيمة عليا ، ثم تندرج تحتها التجارب التي تعبر عنها الفرديات سواء بالمعلومات او معتقدات او وجهات نظر او...الخ وهي مشروعة وفق منطق المجموعة–كما يمكن ان تكون قد انطلقت من الآراء المركزية– و لكن شرعيتها تصب في إطار حقل الآراء التأسيسة للتمثل.

تشكل جملة الافتراضات المذكورة إطار عمل نظرية النواة المركزية لـ **(آبريكJ–c–abric)** تتوافق **العناصر المحيطة** "**éléments périphérique**"[26] مع المعرفة التي تختلف من فرد لآخر هي ناتجة عن تجارب ملموسة لموضوع الاجتماع القوي داخل المجموعة لأنها ناتجة عن الظروف التاريخية ،الإجتماعية، الأيديولوجية التي تشكل فيها التمثل"[27].

و وفقا **لآبريك** يتم تكوين التمثل الاجتماعي بالأساس في **بنية العناصر المعرفية المتعددة** والتي تعطى دورا جوهريا وتكسبه المعنى، لتتشكل بذلك النواة المركزية حيث تعمل هي الأخرى على توسيع الحقل التمثلي – بما تعطيه من قيم ومحددات للأعضاء حاملي التمثل–.

"بعبارة أخرى فإن المعلومات و المعتقدات و الآراء التي تشكل الجوهر هي دالة على السياق الاجتماعي العام الذي تجد المجموعة نفسها فيه، فهم يُشكلون إجماعا لأنهم يشيرون الى معايير و قيم و مصالح المجموعة أي العوامل الجامعة"[28]،

[23] *Ibid. p.23.*
[24] *Ibid, .p.23.*
[25] *Ibid, .p.23.*
[26] Cf,Jean –claudeabric, pratiqes sociales et représentations, presses univairesitaire de France, paris, 4 édition, 2003.
[27] Pascal moliner et christian Guimelli, les représentations sociales, op, cit,.*p.23.*
[28] *Ibid,.p.23.*

الا ان ترتيب العناصر(الآراء والمعلومات والمعتقدات...الخ) يكون كخاصية ثانية لعمل النواة المركزية في تنظيمها للأجزاء حول الجوهر بإعتباره المحدد الأساسي لربط العلاقات بين وحدات وعناصر التمثل مع بعضها البعض، وكسياق شامل تظهر مركزية التمثل الخاص بالموضوع هذا الأخير–مؤثر على جميع عناصر المجموعة بالتالي يحقق إجماع منتظم–.

3-3/على المستوى الفرداني

بناءا على التباين في جملة من الآراء و تعدد التجارب الملموسة للفردانيات الخاصة بالجماعة الواحدة –العناصر العملياتية– كذلك تقارب المعاني في منطق التفكير الخاص بتمثل مُعين جعلنا نتوقف على هذا المستوى لمحاولة الكشف عن أساليب الأعضاء المتبعة بغية تحديد ما هو المشترك الذي يقف وراء هذا الثراء في الخطابات و أنماط التعبير الخاصة بالأفراد المنسوبة تجاه موضوع معين.

تعكس ظاهرة إستيعاب الفرد لتمثل معين في الفضاء الاجتماعي المباشر –عملية التعبئة للمعارف الساذجة– معلومات أو وجهات نظر يتم إدخالها بالملاحظة المباشرة... في الواقع الميداني والتي يصفها **موسكوفيتشي** بقوله:

" لم يعد ينظر إليها على أنها نتاج النشاط الفكري لعقول معينة، ولكن باعتبارها انعكاسات لشيء موجود في الخارج"[29]، حيث تتوافق تكوين المعارف حول موضوع ما بسهولة لرسم صورة ذهنية تم إستدخالها من التجربة المباشرة، بذلك يكتسب التعبير ، القول ، الخطاب عند الأفراد حجج لها ذات البعد الجد واقعي و ملموس ،انه إنعكاس دقيق للبيئة و إعطاء الخطاب الفردي نغمة معينة عادة ما تكون مشبعة بإحساس واضح لا يترك مجالا للشك، بالتالي فإن الفرد الذي يعبر عن تمثل لديه شعور بأنه يصف البيئة كما هي بالفعل و كما يدركها الآخرون[30] و فقا لعملية الإحساس المشبع تتم الزيادة في نسبة الإجماع حول العناصر المركزية و التوافقات في العناصر المحيطة حيث تصبح العوامل الوجدانية المتبادلة مصدر روحي–كقوة دافعة و ملزمة– ذات بعد قيمي يقود نحو التشارك.

بعدها يُمنح التمثل الاجتماعي نضجا مكتملا بما يبدوا لحامليه من امتلاكه للإجابة عن معظم المواضيع بالإضافة لتقديمه حلولاً للإكراهات التي تجابههم في الفضاء الاجتماعي فهو بهذا يعمل على تعبئة مشبعة من الواقع المادي من الصعب تفنيدها، ففي الغالب يعمل الخطاب على تقديم و إبراز شروحات للموقف المدافع عنه، ما يظهر في العادة ان إنتاج التعابير او الخطابات تجعل من التمثلات الاجتماعية براهين حقيقية و دلائل قاطعة في تفسير وشرح إرتباط الأسباب بالنتائج الخاصة بالموضوع.

" في الواقع كما لاحظ **(Moscovici 1968)**بالفعل يعطي الخطاب الساذج الأولية للاستنتاج على المقدمات، من السؤال قبل تقديم إجابة يبدأ الخطاب الساذج من الإجابة و يحاول تبريرها، كما يمكن دائما إدراك الموضوع من زوايا مختلفة، ينظر الى (الإيدز) كمرض كذلك على أنه مشكلة اجتماعية او أيضا اقتصادية او حتى كعقاب الآهي" [31].

[29] *Ibid, .pp.25-26.*
[30] *Ibid, .p.26.*
[31] *Ibid,.p.28.*

في حقيقة الأمر تفيد هذه العملية في التقرب أكثر من فهم التمثل كميكانيزم اجتماعي تم بنينته بدرجة جد عالية، و الذي يقدم شروحات واقعية تصب في تعبئة الإطار المرجعي الذي يجعل من الأفراد على معرفة عملياتية وملمة بالموضوع و ان كان البعض من الفرديات لا تحمل دراية بالموضوع فإن إنتاج الخطابات المتنوعة لمعنى واحد تسهل من توجيه التمثلات تجاه المنفعة الجامعة للوحدات.

في حين طالما اعتبرت التمثلات الاجتماعية بناءات يؤخذ منها الفعل ويرجع لها في شرعنته، الا ان القفزة النوعية التي حققتها جعلت من هذه الأخيرة أكثر إلتزام بممارسات تخضع لعقلانية يتم العمل بها في بحث الفرد او المجموعات وحتى المجتمع الواسع عن إجراء تعديلات تعيد توازن الإدراك بين الأفكار والأفعال المحسوسة في خضم ظروف تتسم بالتناقض بين الموقف والموقف الآخر او بين حدود الفكر المسموحة والسلوكيات الجديدة ، وبناءً على التعديل المعقلن يكون القيام بأفعال او إرتكاب ممارسات هو توليد لآراء ومعتقدات أي " تمثلات "، بالتالي فإن العملية العقلانية تقود نحو تعديل السلوك الفرداني والجماعي المعرفي.

تأخذ عملية التفاعل بين التمثلات و الممارسات –المعقلنة –مع الأخذ بظروف البيئة الخارجية الفاعل (سواء كان عنصر أو جماعة) في بحثه عن خدمة مصلحته كقيمة أولية، حيث تتحول الممارسات التقليدية –الموجهة مسبقا عن طريق التمثلات–الى ممارسات مقصودة توازن بين الظروف المعيشية (الملزمة) وعلاقتها بالواقع ما يستوجبه من تحقيق الغايات المرادة بما يضمن بقائه،

حيث ينظر الى الفعل و مقصودية الفاعل الموجود في وضعيات تحتم عليه أخذ القيود التي تعترض أهدافه بعين الاعتبار، قد تعود هذه القيود الى بنية التفاعل ذاتها او أنها تتصل بالسياق وبالبنية الاجتماعية مع ترك الاختيار للفرد بين عدة أفعال ممكنة؛ إننا نؤكد على التواصل التفاعلي بين كل من الذات العقلانية و الواقع ككيان عقلاني تسعى الذات النشطة فيه بالبحث عن المواقف المتوازنة حيث تكون فيها الآراء والأفكار.. على توافق مع السلوكيات.

الخاتمة:

يتجاوز النظر اليوم الى التمثلات الاجتماعية و ممارساتها في حدود التقليدي الضيق كونها توجه الفعل و تعدل السلوك او تتحكم في الممارسات بجميع مستوياتها الفردية و الجماعية او على مستوى المجتمعات الواسعة ،إننا نتحدث عن أكوان و آليات تتشكل من مركب نفسي – اجتماعي –ثقافي .. و يأخذ في الحسبان ظروفه البيئية داخل الواقع المعاش بمعنى أنها أصبحت تكتسب صفة العقلانية المشروعة وتترجمها في الممارسات بصيغة إستراتيجية ، إنها عملية تكوينية غير محدودة تُبنى في إطار العلاقات التفاعلية المقابلة للتأثيرات الخارجية .

القابلية التي تحوزها التمثلات الاجتماعية بجزئيها –النواة المركزية والممارسات العملياتية – على التعديل ،التطور او التغيير الذي يأتي كإستجابة اوتكييف للسياقات والعوارض البيئية المتعددة، على هذا المنوال نكون قد تجاوزنا المقاربات التي تؤمن بكون التمثلات الاجتماعية بناءات حتمية ملزمة من المجتمع الواسع وتخضع لها كل الممارسات الفردانية والجماعية الى باراديغم يمتلك حقيقة اعتبار التمثلات و ممارساتها الاجتماعية تدرس ضمن موضع البنيات المتفاعلة مع كافة الأبنية الموازية لها كما أنها تُطور من نفسها عبر إستراتيجيات و ميكانيزمات أكثر عملياتية مع الواقع المعاش.

قائمة المراجع:

فالنتينا غراسي، مدخل الى علم اجتماع المخيال –نحو فهم الحياة اليومية–ترجمة:محمد عبد النور وسعود المولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2018.

إميل دوركايم، علم الاجتماع وفلسفة، ترجمة: حسن أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، مصر، 1966، ص.49.

إميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة: رندة بعث، المركزي العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

جان بيار دوران وروبرت ويل،علم الاجتماع المعاصر، ترجمة، ميلود طواهري، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر،2019.

Pascal Moliner Et Patrick Rateau Et Valérie Cohen-Scali, Les Représentations Sociales Pratique Des Etudes De Terrain, Presses Universitaires De Rennes ,France.2002.

Pascal moliner et christian Guimelli, les représentations sociales, presses universitaires de Grenoble, France, 2015.

Jean –claudeabric, pratiqes sociales et représentations, presses univairesitaire de France, paris, 4 édition, 2003.